المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 16 العدد 01 السنة 2020 ص ص 99-116.

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

التاريخ وأدب المناقب
من خلال مخطوط مناقب أحمد التباسي
(ت928هـ/1522م)

History and literature of Manakib through the manuscript of Ahmad al-Tabasi (928 AH / 1522)

د/ يوسف بن حيدة [1]

[1] جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي –الجزائر، benhidasf1@gmail.com

تاريخ الاستلام: 13 / 10/ 2019 تاريخ القبول: 28 / 01/ 2020

Abstract:

The interests of historical writing have been linked to the literature of the Virtues and its translations and biographies through the use of topics related to Sufism and the introduction of the Awliya and the elders of the angles and Sufi orders in order to prove the descent of Sharif or Alohaha and exposure to the dignities and paranormal associated with a Sufi figure, and the value of the prospective text and what it offers to the historian and the researcher of its documentary value in general is a manifestation As a manifestation of social and cultural history, especially that during the historical excavation and research in the books of the veils you find several examples of the Sufi trend and solid relations that have become the parents and the righteous among themselves and the resulting emergence of Shabak The study is part of the Sufi experience and the meeting of Sheikh Balmerid between Ali Maimoun Al-

المؤلف المراسل: يوسف بن حيدة
البريد الالكتروني: benhidasf1@gmail.com

Ghammari (d. 917 AH / 1511 AD), Sheikh Abi Abbas Abbas Touzari Tabasi (d. 930 AH / 1543 AD) and the last meeting with Ahmed bin Makhlouf Chebbi, where the trip and meet in The relationship of the Sheikh with the murid, and the formation of the murid up to the Sufi sheikhdom within the life of a mystic dealt with the biography of the prospector.

Keywords:
Histoire, mysticisme, dignité, voyage vertus.

ملخص :

ارتبطت اهتمامات الكتابة التاريخية بأدب المناقب وما تضمنته من تراجم وسير في توظيفها لمواضيع مرتبطة بالتصوف والتعريف بالأولياء وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية قصد إثبات النسب الشريف أو الوجاهة وتعرّضها للكرامات والخوارق المرتبطة بشخصية صوفية، وتكتسي قيمة النص المنقبي وما يقدمه للمؤرخ والباحث من قيمته الوثائقية بشكل عام حيث يشكل مظهرا من مظاهر التاريخ الاجتماعي والثقافي، خاصة وأنّه خلال التنقيب التاريخي والبحث في كتب المناقب تجد عدة أمثلة عن التيار الصوفي والعلاقات المتينة التي أصبحت تربط الأولياء والصلحاء فيما بينهم وظهور شبكة من المريدين وإرهاصات تأسيس الطرق الصوفية ونص المناقب موضوع الدراسة يندرج ضمن التجربة الصوفية ولقاء الشيخ بالمريد بين علي ميمون الغماري المغربي بالشيخ أبي العباس التوزري التباسي(ت930هـ/1543م) ولقاء الأخير بأحمد بن مخلوف الشابي حيث تبرز الرحلة واللقاء في علاقة الشيخ بالمريد، وتكوين المريد وصولا إلى المشيخة الصوفية من خلال ما تناولته السيرة المنقبية.

الكلمات المفتاحية:

المناقب، التاريخ، التصوف، الرحلة، الكرامة.

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

مقدمة:

عرفت توجهات البحث التاريخي اهتمامات متنوعة تجاوزت من خلالها الإطار الخاص بالتاريخ السياسي والحدثي وأصبحت دراسة السير والتراجم وما ارتبط بها من مادة معرفية وخبرية تلقى اهتماما في الحصول على المعلومات التاريخية، كما أصبح ترتيب المؤلفات الكلاسيكية يندرج ضمن سلم تفاضلي قصد الاقتراب أكثر ما يمكن من الخبر الصحيح .

وفي هذا الجانب نجد أن البحث المنهجي في التاريخ جعل ارتباط تقدم البحث في التاريخ الاجتماعي خاصة بمدى قدرة المؤرخ على تنويع المادة الخبرية وانفتاحه على الوثائق المرتبطة بالموضوع سواء ما تعلق منها بغرض التاريخ مثل الدفاتر الجبائية والمراسلات الرسمية والخاصة، أو المخطوطات التي تحفزّ المؤرخ للبحث عن مصادر أخرى من شأنها أن تساعد على فهم مواضيع اجتماعية ودينية حيث نشير هنا إلى المادة التاريخية المرتبطة بأدب المناقب [1].

1-العلاقة بين التاريخ والمناقب:

أصبحت اهتمامات كتب المناقب تندرج ضمن الكتابات التاريخية المرتبطة بالتراجم والسير، وما ارتبط منها بالفهارس أو السلاسل النسبية، وأصبحت تشكل جزءا كبيرا من كتب التراجم والطبقات، ومعنى ذلك أنها توظف مواضيع مرتبطة بالتصوف والتعريف بالأولياء وشيوخ التصوف وما اندرج ضمن اهتماماتهم من مواضيع تجمع بين الواقع والممكن، فقد تتناول النسب قصد إثبات النسب الشريف أو الوجاهة وتتعرض للكرامات والخوارق المرتبطة بشخصية صوفية .

وتكتسي قيمة النص المنقبي وما يقدمه للمؤرخ والباحث من قيمته الوثائقية بشكل عام مظهرا من مظاهر التاريخ الاجتماعي والثقافي، خاصة وأنّه خلال التنقيب التاريخي والبحث في كتب المناقب تجد عدة أمثلة عن التيار

الصوفي والعلاقات المتينة التي أصبحت تربط الأولياء والصلحاء فيما بينهم وما ترتب عنها من ظهور شبكة من المريدين وإرهاصات تأسيس الطرق الصوفية .

كما يتناول النص المنقبي الرحلة الصوفية التي على أساسها يمكن إلغاء الحواجز الفاصلة بين مختلف المناطق عبر المجال وحتى الخيال، فركزت على السياحة الصوفية التي استقطبت العديد من المتصوفة وكان اتجاهها من المغرب إلى المشرق للوصول إلى مشائخ التصوف والأخذ عنهم من مبادئ الطريقة ومعالمه، وتتسم الكثير من كتب المناقب بالنسبية التي تصل في بعض الأحيان إلى حد الافتعال وهو ما يبرهن في اعتقادنا على الأهمية البالغة التي تكتسيها عملية مراجعة النتائج والتقييمات التي انتهى إليها البحث والاعتماد على المناقب .

2- مناقب التباسي والرحلة الصوفية :

الموضوع الأساسي الذي ينطلق منه نص المناقب الذي يندرج ضمن التجربة الصوفية التي تقترن بالتنقل والسفر وعلاقة الشيخ بالمريد، وتكوين المريد عبر مراحل للوصول إلى مصاف المشيخة الصوفية والمتمحورة ضمن اتجاهات ثلاث : رحلة في أعماق الذات، ورحلة في المجال، ورحلة في المخيال الجماعي للمجتمع، وهذه الرحلات تنطلق من حياة متصوف تناولته المناقب مشيرة إلى اللقاء بين علي ميمون الغماري المغربي (ت 917هـ/ 1511م) بالشيخ أبي العباس التوزري التباسي(ت930هـ/1543م)، حيث أثمر لقاء الشيخ بالمريد وإليه انتسب ابن ميمون في سلوك الطريق حسب تعبير ابن الحنبلي[2].

وفي إطار الرحلة في المجال والبحث عن التأسيس للتجربة الصوفية كان لا بد لابن ميمون أن يصل إلى شيخ مربي له مكانة عالية في التصوف ويتمتع بشهرة صوفية وعلمية، فكان تراوده تساؤلات عن الشيخ جعلته يقطع مسافة في البحث، لتحصيل صحبة تكوينية يستزيد من خلالها معرفة دينية استعدادا للمشيخة الصوفية، فاستطاع في مستهل رحلته الاتصال بالشيخ التباسي الذي قضى معه ببلاد الجريد أربعة أشهر ثم اتّجه بعدها إلى المشرق[3].

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

ويندرج نص المناقب في أصله حول التساؤل الذي طرحه بن ميمون على الشيخ التباسي للتعرف على سلسلة نسبه وسنده الصوفي الذي سيأتي التفصيل فيه، ولم يكن اللقاء بينهما طويلا ليواصل بعدها علي بن ميمون رحلته الصوفية التي قادته إلى مكة حسب ما تذكره المناقب [4]، حيث كانت رحلته للحج بمثابة المقصد الأول لكل تنقل، هناك وجد ضالته وتوصل إلى منبع روحي مفعم بالدلالات الدينية... ومنها إلى بلاد الشام وبغداد ثم عاد بعدها إلى "الحرم الشريف" [5].

وتبرز في ثنايا رحلة ابن ميمون للوصول إلى شيخه، خطاب صوفي يندرج ضمن المخيال الثقافي بما يشير إليه من تعابير وأحداث الرؤى في المنام فابن ميمون ذكر أنه رأى في إحدى الليالي وهو متواجد بالحرم الشريف أنه اتصل بالعرش، وبحضرة القدس " ورأى من الأنوار ما جعله يمرّ بتجربة باطنية مثيرة، فقد وصف ذلك الحال بقوله : " فقلت في غامق سري وفي خفاء خافية فكري أترى لمن يكون هذا النور الشارق وهذا السرّ الرّايق، ولمن انتشرت هذه الحقايق ؟ فإذا هاتف يهتف بي :هذه الأنوار الظاهرة وهذه الأسرار الباهرة حقائق الغوث الأكبر والكبريت الأحمر والدرياق الأصفر خليفة الله في عباده، ورحمته في بلاده وخلاصة صفوته من أهل وداده، فإن كنت له شايق وإلى صلة وصله عاشق فدونك الدرّة الزهراء واليافوخة الحمراء أشرقت شوار(قه)، وأشاعت أنواره من إفريقية الخضراء ..."[6].

1-2 ابن ميمون ولقائه بالشيخ المربّي:

يبرز في تصوف ابن ميمون خطاب رمزي، حيث يندرج هنا نص المناقب ضمن السيرة الاجتماعية والثقافية التي تعيد بناء حياة الشيخ، ولا يخلو هذا البناء من حضور الحلم والرؤية وما تعبّر به عن الرغبة الجامحة التي تخترق طريقها على الرغم من عنف المراقبة، ولذلك كثيرا ما نجد أنّ المخيال الجماعي

يمرر خطابه الصوفي عبر الحلم خاصة وأنّ الرؤيا هنا بمثابة كرامة، وقد حظيت في الثقافة الصوفية بمصداقية مستمرة .

وكانت لهذه الخواطر التي مثلت جزءا من النّص المنقبي للتباسي، تداخل مع الواقع، فعملية التوجيه المعتمدة في رحلة بن ميمون كانت تؤطّرها جهة غيبية، فتغيير اتجاه الرحلة بالعودة كان بهاتف جعله يرجع باتجاه إفريقية حيث زار طرابلس وقسنطينة، واستمرت رحلة البحث عن الشيخ المربي بين السواحل والبوادي إلى أن وصل بلاد نفزاوة [7] .

وينقلنا صاحب المناقب إلى عملية متكررة تجددت معها التجربة الباطنية، وكان حضور الكرامة في الخطاب المتبادل هو الإستدلال الذي استند إليه المؤلف في عملية البحث، والوصول إلى مكان تواجد الشيخ التباسي، في حوار غلب عليه الخطاب الصوفي بأسلوب رمزي، فاتّجه إليه يقول عند هذه الرحلة :

" ...فلما وصلت استأذنت فأذن لي بالدخول عليه فعرضتني أنوار الغوثية قبل الوصول إليه، قلت: الله أكبر، الله أكبر، فلما عاينت طلعته المباركة منعما، نظر إلي ضاحكا متبسما وقال لي يا فتى أتعبك الهاتف العرشي في المقام القرشي، لنا وصلت وبنا اتصلت، أبشر فقد طلع كوكب استعدادك على وفق مرادك، فبكيت طويلا وما شفيت غليلا، فأسكتني وتكلم معي بكلام أهل الكلام " [8].

ومن هذا اللقاء بين المريد والشيخ انطلقت التجربة الصوفية الحقيقية، فقد أدخله بعد أيام شيخه الخلوة، فكان العهد الصوفي بينهما عن طريق المصاحفة والكلمة الراجحة، وأوصاه بوصايا وطالبه بوظائف خاصة، وأخبره بعلوِّ مرتبته في السلوك الروحي ثم أهله لأن يكون شيخا يربي المريدين : وقال: يا علي يا ولدي سر إلى ما أهلّك الله إليه، سر إلى الشام ومن ثم تنتشر الأعلام، ينتفع بك الخاص والعام، فصافح ولقّن وألبس ومكن فذاك مقامك وبه تتضح أعلامك "[9] .

مثلت الرحلة قناة من قنوات التنشئة الصوفية، ومدرسة يتعلم فيها المريد من خلال لقائه بالمشائخ وينمّي استعداداته الخلقية ومواهبه ومداركه، هذا

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

اللقاء بين الشيخ والمريد نتج عنه صحبة صوفية أثمرت بسلوك الطريق والوصول بابن ميمون إلى مصاف المشائخ المربّين، والإذن له بخوض غمار التكوين الصوفي وقلده وسام المشيخة الصوفية.

2-2 إشكالية النسب الشريف:

اهتم علي بن ميمون أثناء لقائه بشيخه أحمد التباسي بمسألة النسب فأراد الإستفسار عن نسب التباسي باعتبار أنّ النسب الشريف يمثل إحدى الركائز الأساسية في تأسيس الطريقة، كما يمثل رحلة استعدادية للبحث عن الانتماء إلى البيت النبوي الذي يعدّ مهما في مواصفات الشيخ، فقد طالب بن ميمون بمعرفة سلسلة نسب التباسي مبديا رأيه في موضع إشكال بناء على أنّه وجد عند الأولياء الذين اتصل بهم " .. كل منهم سلسلة تنتهي بهم إلى رجال كرام وتنتهي إلى سيّد الأنام.." .[10]

ومعرفة النسب أراد من خلالها بن ميمون أن يؤسس لتجربته الصوفية على أساس يكون سنده فيها مرتبط بمشائخ لهم نسب رفيع، فالنّسابة يتبرك بذكر السلالة النبوية في ترتيب الشجرة وإحصاء الفروع خاصة وأنّ التصوف في هذه المرحلة غلب عليه تقديس النسب الشريف، كما أنّ الانتساب للشرفاء أصبح في حد ذاته شرطا كافيا لنجاة المؤمن من العقاب في اعتقاد المتصوفة، فأراد أن يدرك من شيخه ويعرف ارتفاع نسبه هل هو حجة رفيعة أم كسراب بقيعة، واستطاع من خلاله تساؤلاته أن يحصل على الإجابة من شيخه، في تأكيد نسبته الحقيقية التي تنتهي إلى خير البرية [11] .

ينتقل النّص المنقبي إلى السيرة الذاتية للتباسي في شكل حوار بينه وبين ابن ميمون بقوله :"... فقال ما قال، والآن أقول ما قال :حيث ذكر أنّ نسبه ينتهي إلى الجدّ الذي يحمل لقبه وهو سالم التباس [12] الذي كان مصاحبا لأبي الحسن الشاذلي، ثم وصف والده بأنّه كان من أصحاب الأحوال والصوفية الواصلين

بقوله : " ولم يكن من مشيخة التربية بل كان من أرباب الأحوال الواصلين إلى درجات الكمال متمسّكا بالكتاب والسنة واقفا عند حدود الشريعة وبارعا في العلوم الظاهرة "[13]

والأسرة التباسية من الأسر الصوفية بإفريقية ترجع في نسبها إلى التباسي الجدّ الذي كان من أبرز الشخصيات الصوفية في النصف الأول من القرن 7هـ/13م، والذي اشتهر بمرافقته لأبي الحسن الشاذلي وأسس زاوية غرب تونس مازالت تحمل اسمه [14].

ويواصل التباسي الحديث عن والده، وعن حياته الاجتماعية فأبوه كانت له أملاك كثيرة، ولكنّه لم يرزق بالأولاد، وكانت تربط والده علاقة متينة بقائد الدولة محمد هلال في فترة السلطان أبي فارس عبد العزيز الحفصي [15]، وكان من نتائج هذه العلاقة أن تزوج والد التباسي من الجارية التي طلّقها القائد هلال، وأنجبت له محمد وأحمد صاحب المناقب، وبعد وفاة والد المترجم ارتحل القائد هلال إلى جربة بأمر من السلطان وحمل معه الطفلين الذين سرعان ما عادا إلى مدينة تونس بوفاة القائد، حيث يقول أحمد التباسي في هذا الجانب : " وضمّنا السلطان إلى قصبته فتخاللت أنا ومولاي إبراهيم". [16]

وفي النّص دلالة على وجود تقارب بين الأسرة التباسية والأسرة الحفصية الحاكمة، ولعل هذا التقارب كان له دور كبير في علوّ مكانة التباسي بما وجده من اهتمام من قائد السلطان أبي فارس عبد العزيز، وما تبرزه المعلومات من أهمية مرتبطة بالشهرة والنفوذ الذين ساهما في مكانة العائلة التباسية.

3- تجربة التباسي الصوفية:

تتناول المناقب في نصها الثاني التجربة الصوفية للشيخ أحمد التّباسي والتي بدأها في سن مبكرة في حوالي الثانية عشر من عمره، وكانت إرهاصاتها منطلقة من ارتياده للأماكن المنعزلة مثل المقابر، هذه المرحلة التحضيرية غالبا ما تشير في التقاليد الصوفية إلى الإنعزال الذي تتبعه تطورات سلوك الطريق،

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

فالتباسي تحدث عن عزلته وما صاحبها من تخيّل وسماع كان يراوده كأنّ مناديا يناديه، حيث يذكر أنّه يسمع صوتا يدعوه لزيارة مقام جدّه سالم التباسي، وامتثل للمنادي بزيارته لمقام جده وزاويته بقوله : "...فأصبحت بالزاوية مقيما وأُهديت صراطا مستقيما .." [17].

وشكلت مرحلة الخلوة بداية لمسالك الطريق، حيث انتقل التباسي إلى مرحلة ثانية من مسالك التصوف والمتمثلة في رحلة البحث عن الشيخ المربّي، وكان اتجاه رحلته نحو المشرق كغيره من المتصوفة الذي ارتبطوا في تفاعلهم بالمشرق للوصول إلى شيخ التربية، وارتحل إلى السند والهند وبغداد والشام لملاقاة أرباب التقوى والورع، وكانت هذه الرحلة مليئة بالخواطر والكرامات، فجمعت بين رحلة في المجال والخيال، كما كانت مسالك الطريق صعبة وشاقة فالقلق الروحي انتاب التباسي أثناء رحلته باتجاه البيت العتيق [18]، فالتقى بأحد الشيوخ العارفين وهو الشيخ عبد الكريم اليماني،فوصفه بـ " لبّ الألباب وكيع الأتراب وغوث الأقطاب سيدنا الشيخ عبد الكريم اليمني نسبا وأصلا والمكي مستقرا وأهلا ..."[19]، هذا اللقاء الذي كان بين المريد والشيخ من أجل الدخول إلى الطريق، خدم خلاله المريد الشيخ حتى ألبسه الخرقة ولقنه الذكر، واهتمّ التباسي في مناقبه بإيراد سلسلة السند الصوفي التي تشكل مرجعية في الطريقة فذكر السلسلة وصولا إلى الإمام علي فجاءت مترتبة في سلسلة سنده الصوفي في لبس الخرقة، ويظهر أثر هذا السند في اللّقاء الذي حصل بعد ذلك، واتصاله بالشيخ عبد الوهاب الهندي والشيخ أحمد بن مخلوف الشابي، وكذا لقائه بالشيخ علي بن ميمون المغربي صاحب المناقب [20].

وأثناء إقامة التباسي بمكة عند الشيخ عبد الكريم اليماني كانت له اتصالات مع شيوخ التصوف، حيث يذكر في الروضة الشريفة لقاءه بالشيخين عبد الوهاب الهندي وأحمد بن مخلوف الشابي، ويصف هذا اللّقاء الذي كان فيه

نوع من المفاجأة بقوله :" وإذا أنا بالشيخ أستاذي عبد الكريم اليماني فقال له: غدا نلتقي بذرة أهل الهند المكرمة، وخليفة زهرة أهل الغرب المنعمة، فبعد صلاة الصبح قضينا أورادنا على ما كان من عادة، فإذا أنا بالشيخ يتهرج وإلى باب الحرم يتبلج، وقام قائم على قدميه، وإذا أنا بالشيخ عبد الوهاب الهندي والشيخ أحمد بن مخلوف الشابي دخلا عليه فتعانقا الشيخان وجلسا يتحدثان، فأقام الشيخ الهندي وخليفته نحو شهر بالحرم الشريف، ثم انصرفا بعد تحقيق المعرفة بهما " [21].

وبعد المدة التي قضاها التباسي بمكة صحبة شيخه عبد الكريم اليماني أمره هذا الأخير بالانصراف إلى إفريقية وزوده بوصايا جاءت على لسان التباسي منها قوله: " يا أحمد، يا ولدي، قد بلغت مبلغا كريما ونلت من الله منالا عظيما يغبطك في مقامك الأنبياء وتتمني نوال منالك الأصفياء، لك البشرى الكاملة والتهنئة الفاضلة، سرّك فاق كل الأسرار ونورك غشي جميع الأنوار، فما في الوجود ريحانة إلا ونورك يغذّيها ولا في الوجود درّة إلا وسرّك يربيها ..." [22].

وبعد اكتمال الصحبة بين الشيخ والمريد والتي أثمرت بوصول المريد إلى مرتبة المشيخة حصل التباسي على الإذن من شيخه عبد الكريم اليماني، وهمّ بالعودة إلى بلاده إفريقية مزوّدا بوصايا كثيرة من شيخه والتي تضمنت " ... ملازمة العبادة وترك اعتياد العادة والنصيحة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم والدعاء لهم من كل طاعة بظاهر الغيب وخدمة من تلقاه من الرجال وإن كنت أعلى منه بأضعاف كثيرة وقلّة الاهتمام بالدنيا وتربية المريدين على طريق التعب والنّصب وأن لا تسامحهم في هفواتهم وضيق عليهم في حالاتهم إلى أن ينالوا ما كتب الله لهم من الله على يدك، وأمرني بالانصراف إلى ما أمرني به.. " [23].

4- صحبة التباسي لأحمد بن مخلوف الشابي :

بعد عودة التباسي إلى افريقية كان له لقاء جديد بشيخ مربّي من شيوخ التصوف الذين تناولهم نصّ المناقب بشيء من التفصيل وهو الشيخ أحمد بن

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

مخلوف الشابي، الذي كان له دور في تكملة تكوين التباسي وإطّلاعه على أسرار القلوب ومعالم الطريق الصوفي ومسالكه، وقد استدلّ التباسي على شيخه أحمد بن مخلوف ومكان وجوده من خلال أحد تلامذته بقابس المسمّى المالكي وذلك عند قراءته رسالة من الشيخ على ضيفه، فأخذ عنه الطريق على حدّ تعبير الحنبلي بقوله :" ...وتوجه إلى سيدي أبي العباس أحمد بن مخلوف الشّابي الهذلي القيرواني والد سيدي عرفة (835هـ/1431م-893هـ/1492م)، فخدمه، وأخذ عنه الطريق، ثم أقبل على العبادة والاشتغال، حتى صار شيخ ذلك القطر.." [24].

وكان لصحبة التباسي بالشيخ أحمد بن مخلوف دور في التعرف على ظروفه، فقد تناول حالته الاجتماعية التي كان يعيشها، فلم يكن غنيا في سعة من عيشه بل كان الفقر ملازما له في حلّه وترحاله، وهذا ما أشار في المناقب بقوله :" ..ومكثت عنده أياما فإذا أنا به قليل ذات اليدين من الدنيا،وهو متلذذ في فقر متنعم بشكر "[25]، هذه الحالة الإجتماعية التي كان يعيشها ابن مخلوف لم تكن طويلة بل تغيّرت بعد اشتهار أمره وكثرة أتباعه، وتراجعت الفاقة تراجعا أمام جهود أتباعه بجمعهم له الفتوح (الزكاة)، وساهم ذلك في امتلاك الشيخ لبقرات كان يرعاها ابنه عرفة الشابي منحها له مريدوه من الحنانشة، حيث عاش على الصّدقات من الوافدين إليه من الأتباع، واستمر في نشاطه التعليمي والتربوي إلى أن اتّجه في رحلته إلى الحج [26].

ويرجع التعريف بالطريقة الشابية ونشرها إلى أحمد التباسي خاصة وأنّه كان من أكثر الملازمين له وأحد مريديه، ونظرا لما كان يعرفه الشيخ أحمد بن مخلوف من فقر اقترح عليه التّباسي أن ينشر له طريقته في إفريقية حسب قوله :".. فنشرت بإفريقية بأسرها خبره وبثثت في كل نواحيها علمه وذكره، فأقبل إليه الناس من كل ناد، وازدحمت على باب روضة سرّه حضري وبواد "[27].

ويبرز لنا نص المناقب الصعوبات التي واجهت أحمد بن مخلوف والمتمثلة في مواقف الفقهاء والقائمين على أمر الشريعة ومعارضتهم لأفكار وطروحات الشّابية، واعتراضهم على العديد من الظواهر النّاجمة عن الممارسة الصوفية، جعلته يضطر للبحث عن صيغة التعامل مع الموقف وضرورة الحصول على شرعية للتصوف داخل المتن الديني، فقد كلّف تلميذه التباسي للقيام بمهمة التعريف بالطريقة عن طريق المناظرات والمجادلة باسم شيخه ودفاعا عنه تجاه " الفقهاء وأهل التكبر والرّياسة "[28].

هذه المهمة التي كان هدفها أيضا حصول شيخ الشابية على إجازة لإصباغ شرعية دينية على تصوفه فاتصل بفقهاء منهم الشيخ الرّصاع (ت894هـ/1489م)الذي حصل منه على إجازة يذكرها التباسي في المناقب مبرزا تفاصيل هذه السّفارة بقوله: "...قال أكتب لك أوراقا تمشي بها لتونس بقصد الإجازة فيما نحن فيه قمعا للشيطان ولأوليائه فيما لهم يُوحيه، فكتب ... مجموعة أوراق ذاكرا فيهم مبدأ سلوك الفقير وتدرّجه على المنهج المحمدي وتربيته، وسأله من مقام إلى مقام على سبيل شيوخ الصوفية وطلبا للإجازة له في جميع ذلك، ومكّنهم لي وقال أوصلهم ليد الشيخ العالم قاضي مدينة تونس وعالمها أبوعبد الله محمد بن الشيخ العالم أبو الفضل أبو القاسم الرصّاع، وإذا قرأهم فلم يدخل تحت فهمه منهم فأنت الخليفة عني،فإن سألك عن غير ما هو موضوع لهم فتكلم له فيما يسألك فيه، فإنّك من أهل الكلام، وفوق ما كان يصنعه الخليل لخليله."[29].

ويبدو أنّ موقف الرّصاع أثّر إيجابيا على موقف كل من الشيخ محمد البيدموري في إجازته لابن مخلوف وتزكية للشيخ الرصّاع مؤكدا على بركة ما كتبه الشيخ له واصفا إيّاه: " بالشيخ الناصح الناسك السالك المربّي المعتقد العالم، وكلامه عظيم لانتفاع السالكين وتذاكر الواصلين"[30].

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

ولم يختلف جواب محمد القسنطيني (ت875هـ/1470م) في إجازته لابن مخلوف عن سابقه فقد تضمن عبارات المدح واصفا إيّاه بالشيخ الفقيه المربي، ومؤكّدا على صلاح طريقته من خلال مجالسته له بقوله وطريقه صالحة تدل على جميل طويّته [31].

والجدير بالذكر أنّ ما حدث بين بن مخلوف والفقهاء يبرز لنا خصوصية العلاقة بين الوليّ والفقيه والتي ميزت الفترة الحفصية، وطغيان القبول والتعايش والإستيعاب على جوانب النبذ والصراع والإجازة خير دليل على ذلك .

وبعد انتهاء مهمة التباسي في حضرة شيخه تذكر المناقب أنّ الشيخ ابن مخلوف أذن له بالمغادرة إلى مكان آخر لينتفع به الناس، حيث ينهي التباسي ما أجاب به ابن ميمون عن سؤاله لتنغلق دائرة النص ويظهر مغزى الخطاب ومضمونه فغادر التباسي الشيخ ابن مخلوف بعد حصول الصحبة وسلوك الطريق نحو المشيخة، وينهي النص بقوله " ...وعلى الله قصد السبيل، هذا آخر ما سألتني عنه ..."[32].

الخاتمة:

شكلت هذه المناقب نموذجا من العلاقة بين التاريخ وأدب المناقب الصوفية حيث اهتمت بالترجمة لمسار تجربة صوفية تقاطعت فيها سيرتان بين علي بن ميمون وشيخه التباسي، وكانت رحلة البحث عن شيخ التربية تتبع فيها نص المناقب مراحل هامة من سلوك الطريق للوصول إلى المحطات الروحية الكبرى، وهو الذي ترجمه لقاء بن ميمون مع شيخه التباسي وأخذ الطريق عنه في رحلة شكّل فيها موضوع البحث في النسب بالغ الأهمية عبر تساؤلات المريد والمرتبطة بأساسيات الشيخ المؤسس والمربّي عند المتصوفة، فالأخذ عن شيخ أو وليّ أو عالم يتطلب ضمن الخطاب الصوفي إظهار موقعه ضمن الشجرة وانتمائه النسبي للبيت النبوي وهو ما شكل جزءا كبير ضمن نصّ التباسي .

كما شكلت رحلة التباسي نموذجا لرحلة صوفية تقاطعت في مسارها الرحلة في المجال والخيال، وتداخلت ضمنها الوقائعية والرمزية، وامتزجت فيها العناصر التاريخية والمغزى الصوفي، وكانت رحلة مملوءة بالمحنة والبركة، غير أنّها جاءت مركّزة ولم تناقش مسائل فكرية مرتبطة بالممارسة الصوفية، بل جاءت مؤكدة على البركة والكرامات استطاع خلالها التباسي أن يحقق مراده ويسلك طريقه الصوفي وفق المراحل التراتبية في مسار الطريقة بعد أن تكوّن وحصل على العهد والتلقين وانتقل من مريد إلى شيخ من شيوخ التربية الصوفية .

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

الهوامش :

1-لقد تواتر استعمال كلمة مناقب وما يرادفها من فضائل وأحيانا مفاخر في مجال سير الأفراد وتكريم كبار رجال الدين في المجتمع الإسلامي، كما اشتهر مصطلح المناقب للتركيز على السير والتراجم الصوفية، فالمناقب في غالب الأحيان مناقب صوفية، كما أصبحت تدل في الغالب الأعمّ على الخوارق والكرامات التي تجري على أيدي المنتسبين إلى الولاية والتصوف، عن المصطلح راجع : شاكر مصطفي، التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1983، ص 368. Pellat (Charles; Manàkib Encyclopédie de L'Islam (n.e..1987) Tome IV , p 333.

2 - كان أول من اتصل بهم بن ميمون الشيخ عرفة القيرواني الذي أرشده إلى رفيقه في الطريقة والطائفة أحمد التباسي، للتفاصيل أنظر: شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، م10،تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، و محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير،ط1، بيروت، 1993، ص237.

3- محمد بن عسكر الحسيني الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1977،ص29.

4- في بعض التراجم للشخصية نجد بأن أول اتجاه لابن ميمون بعد لقائه التباسي كان نحو المشرق، وكان دخوله إلى بيروت في بداية القرن العاشر أنظر:نجم الدين محمد بن محمد الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ج1،، دارا لكتب العلمية بيروت، ط1، 1997، ص 272- 273.

5- تخلوا الكتابات المنقبية والتراجم في توضيح تاريخ الرحلة وزمانها، خاصة وأنها جاءت مختصرة وكل هذا يبدو انه كان في بداية القرن العاشر الهجري .

6- أبي علي الحسن بن ميمون، **مناقب أحمد التباسي**، مخطوط رقم، 18110،دار الكتب الوطنية، تونس.التباسي، ورقة 5، 6.

7- هي مدينة من أعمال افريقية قال البكري : وتسير من القيروان إلى نفزاوة ستة أيام نحو المغرب، كما يقال نفزاوة من نواحي الزاب الكبير من الجريد، للتفاصيل انظر : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، م5،، دار صادر، بيروت، 1977ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 296.

8- بن ميمون، المخطوط السابق، ورقة 7 .

9- ن . م . ورقة 7 .

10- ن. م، ورقة 8.

11- ن.م، ورقة 14.

12 - محمد بن أبي القاسم الحميري المعروف بابن الصباغ، مناقب أبي علي سالم التباسي تلميذ أبي الحسن الشاذلي، تحقيق وتقديم: أحمد الباهي، داركونتراست للنشر، ط1، 2012،ص 17.

13- بن ميمون، المخطوط السابق، ورقة 9 .

14 - ابن الصباغ، المصدر السابق، ص 17 .

15- تمت البيعة للسلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز إثر وفاة والده وهو من مواليد 762هـ/1361م، بقسنطينة وأمه جارية اسمها جوهرة حكم من 1394- 1434، للتفاصيل انظر عنه : روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.ج1، ص241 ومابعدها.

16- بن ميمون، المخطوط السابق، ورقة 11 .

17 -ن .م، ورقة 12.

18 – ن،م، ورقة 12 .

19- ن.م ورقة 15 .

20- ن، م، ورقة .19

21- ن م، ورقة 19 .

22- ن.م، ورقة 20 .

23- ن.م، ورقة .20

24- شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، م10،تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، و محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير،ط1، بيروت، 1993، ص237.

25-بن ميمون، المخطوط السابق، ورقة 20.

26– علي الشابي، العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية، (مدخل لدراسة الطريقة الشابية التي أسسها ابنه عرفة الشابي الدولة الشابية بالقيروان سنة 942هـ/1535م)،الدار التونسية للنشر، تونس 1979،ص 47.

27 – بن ميمون، المخطوط السابق، ورقة 20.

28- ن. م ورقة 21 .

29- ن، م، ورقة .21

30 – أحمد بن مخلوف الشابي، **مجموع الفضائل في سرّ منافع الرسائل في بداية الطريق لأهل التحقيق**، دراسة وتحقيق: السوسي مبروك، كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين، الجامعة التونسية، تونس،ص184.

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

31- المصدر نفسه، 182.

32- بن ميمون، المخطوط السابق، ورقة 22..

المجلة المغاربية للمخطوطات

قائمة المصادر والمراجع:

- برنشفيك، روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، ج2، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.
- ابن الصباغ، محمد بن أبي القاسم الحميري المعروف، مناقب أبي علي سالم التباسي تلميذ أبي الحسن الشاذلي، تحقيق وتقديم: أحمد الباهي، داركونتراست للنشر، ط1، 2012.
- بن مخلوف، أحمدالشابي، مجموع الفضائل في سرّ منافع الرسائل في بداية الطريق لأهل التحقيق، دراسة وتحقيق: السوسي مبروك، كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين، الجامعة التونسية، تونس،1985.
- بن ميمون، أبي علي الحسن، مناقب أحمد التباسي، مخطوط رقم، 18110،دار الكتب الوطنية، تونس.
– الحنبلي، محمد العكري الدمشي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، م10،تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، و محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير،ط1، بيروت، 1993.
-الحموي شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، م5،، دار صادر، بيروت، 1977.
- الشابي علي، العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية، (مدخل لدراسة الطريقة الشابية التي أسسها ابنه عرفة الشابي الدولة الشابية بالقيروان سنة 942هـ/1535م)،الدار التونسية للنشر، تونس 1979.
- شاكر مصطفي، التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1983.
- الشفشاوني، محمد بن عسكر الحسيني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977 .
- الغزي، نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ج1،، دارا لكتب العلمية بيروت، ط1، 1997. Manàkib. ; (Charles Pellat-
Encyclopédie de L’Islam (n.e. 1987) Tome IV .